



[yehiatrakhawy@hotmail.com](mailto:yehiatrakhawy@hotmail.com)

نشرة "الإنسان" 2020/02/29

السنة الثانية عشرة - العدد: 4564

بروفيسور يحيى الرخاوي - الطب النفسي، مصر

### الفخر.. والهجاء

وسرور يصبر نفسه بين المعارك، وبعضها وهو يستعد ويشحن ذاته للجولة القادمة، يصبر نفسه بقصائد الفخر التي تُخفي جروح الألم؛ فهو لا يتحدث عن نفسه كما يراها، وهو لا يشكو، ولا يختار علانية؛ فإذا اضطر أن يتحدث عن نفسه، فهو يبالغ في الفخر حتى لنتذكر الشعراء العرب الأقدمين مثل المتنبى، وهو لا يخفي بهذا الفخر ألمه فحسب، ولكنه ينكر وحدته بإعلان استغناؤه عن أي آخر، وأية مساعدة، ونلاحظ أن فخره، هو من النوع الذي يعيب "للحرب المقدسة".

ولكنه أبداً لم يستطع أن يخفي عنا - من بعد نفسي - احتمالات جذور هذا الفخر، تلك الاحتمالات التي لا تستبعد العكس؛ فعادة ما يتناسب علو الصوت، وحدّة النبرة مع احتمالات مناقضة لظاهر القول، وقد وجه انتباهنا إلى هذا الاحتمال، استعماله المتكرر والمليح لصيغة النفي في فخره:

**لم أقف يوماً بأعتاب الملوك**

(106/46)

لم ألدُّ يوماً بباب الرؤساء

(107/46)

لم أكن يوماً لسلطان نديم

لا ولم أقصد بأشعاري الحريم

(108/47)

لم أسل كالكلب رفق الأغنياء

لم أكن كالبوبق في رهط الرياء

(109/47)

لم أخف في رحلة الأهوال حاكم

(110/47)

والمقابل للفخر هو الهجاء، ولا يكاد سرور يكف عن الهجاء طوال الرباعيات، بل إنه يدعو إليه مباشرة، ويعتبره المنجاة الحقيقية من أي هجوم مضاد أو ابتدائي.

وتهاجروا أخطأ السيف جريز

بالتهاجي مثلما عدى الفرزدق

(221/85)

### الوحدة.. والانتماء

وحدة سرور مرّة.. لعلها أكثر عمقا وقسوة من ألمه الدفين، وهي مثل ألمه، لا تعلن مباشرة، ولكنها

وحدة سرور مرّة.. لعلها أكثر عمقا وقسوة من ألمه الدفين، وهي مثل ألمه، لا تعلن مباشرة، ولكنها تظل طوال الوقت من السطور، ومن بين السطور، والعجوم الدفاعي هو أحد أساليب كسر الوحدة، وإن كان حسوا مكسورا، فهو يؤكد وجود الآخر بهذه الممتلئة

القتل فعلٌ موجهٌ تجاه "آخر"، وهو يختلف عن الإلغاء ابتداء، في القتل ثمّ آخر "يهاجم"، وما أنذا أذافع في مواجهة هذا "الآخر"، ومن دفاعي أن أهاجم هذا الآخر، حتى القتل

تُطل طوال الوقت من السطور، ومن بين السطور، والهجوم الدفاعي هو أحد أساليب كسر الوحدة، وإن كان كسرا مكسورا، فهو يؤكد وجود الآخر بهذه المقتلة. فالقتل فعلٌ موجّه تجاه "آخر"، وهو يختلف عن الإلغاء ابتداءً، في القتل نَمَّ آخر "يهاجم"، وما أنذا أذاف في مواجهة هذا "الآخر"، ومن دفاعي أن أهاجم هذا الآخر، حتى القتل، ومشاعر الشك وفرط "التوجس" هي مشاعر نحو "آخر" وهذا هو ما يبرر التفسير الذي وضعناه لرباعيات سرور التي تصوّرنا أنها ليست إلا تعبيراً ملاحقاً عن: علاقة شاكّة، وشائكة، بمن هو "آخر"، وهي ما يسمّى عادة بقدر من الاختزال، علاقة "الكر والفر"، وهي علاقة تحفّظ مجرد البقاء، لكنها لا تثرى أو تُرضى أو تؤنس.

وحين يحاول سرور أن ينتمى إلى آخر؟ يفعلها بطريقته؛ فلننظر لمن يمكن أن ينتمى؟. وكيف؟. وهو شديد الحذر من أى اقتراب، ومن أية مهادنة، ومن أية ثلة، نبدأ بهذا الإعلان المبدئي:

حزبوا الأحزاب حتى في الرياضة  
مذهبوا الشمس ليصطادوا القمر  
فاحذروا التماسح في قاع المخاضة  
إنه يقعى خداعا للنظر  
(211/81)

فماذا هو فاعل؟

سرور ينتمى وبمنتهى الاندماج حتى التقمص أو التلاشى إلى حزبٍ خاص، حزبٍ كل أعضائه في ذمة التاريخ، وهذا هو أسلم أنواع الانتماء؛ لأنه انتماء من جانب واحد، الأشخاص تحددت هويتهم بما قاله عنهم التاريخ (وليس ما يقوله التاريخ مطابقاً بالضرورة لما كانوه)، وهم لم يعودوا يملكون أن يكونوا إلا ما كانوه، وهناك يصبحون بعيدا عن أى احتمال يجعلهم مصدرا للخطر، وخطر الانتماء لمن هو مثل سرور ليس في الانتماء ذاته، وإنما في مفاجآت المنتمى إليهم (خوفا من خيانة الهجر، أو جرح الإهمال.. بوجه خاص)، حزب سرور أعلنه وسماه، ويكاد يكون سجّله في محضر رسمي.

جاءنى الضابط إجراء " تحرى"  
أنا يا ضابط من " حزب المعرى"  
(99/43)

وهذا الحزب: "حزب المعرى" حائز على كل الشروط القانونية!! وسرور يكاد يحدد أسماء أعضائه المؤسسين ولجنته المركزية... إلخ) من بينهم: الجبرتي ولينين وغاندى وامرؤ القيس ولومومبا ولوركا وعمر بن الخطاب وتولستوى وفردى وجيفارا وشيلدر وإخاناتون وهوميروس وبوشكن وابن سينا وأرسطو وابن الهيثم وجاليليو وأبو ذر وإبسن.. إلخ إلخ).

ولكن سروراً لم يكتف بالانتماء إلى حزب المعرى التاريخي هذا، فهو ظاهر الانتماء إلى الجغرافيا (الأرض)، وهو يعلن بوضوح مصريته وانتماءه، بل يكاد يجعل مصر رمزا للأرض كافة (أو للرحم أصلا) وانتماءه لوطنه بهذا الوضوح يسهل له تحديد عدوه، عدو وطنه، كيانا جغرافيا وبشريا محددًا.

كل حرب هي من أجل الهرم  
إنها مصر.. حرام.. وحرم  
(74/33)

وقد فعل، وتوجهت مدافعه في أوقات كثيرة نحو اليهود بالذات، فعَل ذلك بوضوح حتى وصل إلى إعلان شجاع عن عنصريته؛ باعتبارها الحل الوحيد الذى يواجه به عنصريته، فهذه هي القاعدة عنده. وبالتالي لا يفيل العنصرية إلا العنصرية؛ ليقضى في النهاية عليها:

عنصرى أنا.. حقا يا زعيمى  
طالما نحفر قبر العنصرية  
(145/59)

مشاعر الشك وفرط "التوجس"  
هي مشاعر نحو "آخر" وهذا  
هو ما يبرر التفسير الذي  
وضعناه لرباعيات سرور التي  
تصوّرنا أنها ليست إلا تعبيراً  
ملاحقاً عن: علاقة شاكّة،  
وشائكة، بمن هو "آخر"

هي ما يسمّى عادة بقدر من  
الاختزال، علاقة "الكر والفر"،  
وهي علاقة تحفّظ مجرد البقاء،  
لكنها لا تثرى أو تُرضى أو  
تؤنس

سرور ينتمى وبمنتهى الاندماج  
حتى التقمص أو التلاشى إلى  
حزبٍ خاص، حزبٍ كل أعضائه  
في ذمة التاريخ، وهذا هو  
أسلم أنواع الانتماء؛ لأنه انتماء  
من جانب واحد

خطر الانتماء لمن هو مثل سرور  
ليس في الانتماء ذاته، وإنما  
في مفاجآت المنتمى إليهم  
(خوفا من خيانة الهجر، أو جرح  
الإهمال.. بوجه خاص).

ولكن هذا الانتماء "الجغرافى" يبدو- أيضا- بديلا عن العلاقة المغامرة بالآخر المحدد لحما ودما،  
الأخذ العاطفى دون تقديس أو ضمان.

أما علاقته بزعيم الحزب (المعري)، فهى علاقة تقديسية تقمصية اعتمادية بشكل مباشر، إلى درجة  
أنه كاد يوحي أن المعري، شخصا، هو الذى كتب هذه الرباعيات؛ فكلما الكتاب تقول:

هذا جناه أبو العلاء

وما جنيت على أحد

(بدلا من الإهداء: ص 3)

أما خطابه ونداؤه ومناجاته لأبى العلاء طوال الرباعيات، فهى لا تحتاج إلى تعليق، والأمر يأخذ  
أحيانا شكل التحية الرقيقة:

"عِمَّ صباحا يا إمامى يا ضيرير"

(91/40)

وشكل الاستغاثة والاستشهاد فى أحيان أخرى:

يا إمامى كيف فى لدغ الضمير

يهنأ النوم لمن خان الأمانة

(93/41)

ويصل إلى التآليه أحيانا:

يا إمامى ثمَّ مجدَّتكَ بعده

(94/42)

وسرور بهذا الانتماء قد انفصل عن "الآن"، وانتمى إلى التاريخ والجغرافيا بديلا عن الواقع الحالى.  
وذلك بعكس الخيام الذى حاول أن يستغرق فى "الآن"، والذى، بالرغم من توجهه من الناس  
والأصدقاء، كان يحلم طول الوقت بالساقى الطيب والنديم السمح، والوجه الصبوح،  
لكن "الآن" عند سرور كانت مصنوعة من حلمه القتالى المستعر أو على الأقل مغلفة به، أكثر  
منها معيشةً بنبضها الحى الحالى المواجه.

أما جاهين فقد كان يعيش "الآن" بنبضها المتمثل فى مرونة المسافة "بينه وبين آخر حقيقى، كما  
كان دائب المحاولة للتقليل من هذه المسافة، وأيضا لمخاطرة اجتيازها، فى اتجاه الآخر بموضوعية  
مؤلمة نتيجة لحدة الرؤية طول الوقت.

التعميم والوثقانية (الدوجما)

وإذا كنا قد أشرنا فى عجالة إلى حيرة الخيام وشكه وما صاحبهما من حلول عدمية وأحلام الهرب  
واللذة، كما أشرنا أكثر إلى حيرة جاهين، وشكه بما صاحبهما من تحمل الغموض والألم الخلاق للحفاظ  
على الآخر، فإننا إذا نظرنا بإمعان فى موقف سرور لا نجد أثرا لمثل شك الخيام أو حيرة جاهين.  
إن رباعيات سرور تكاد تخلو من الشك الصريح تماما، وتفسير ذلك يمكن أن يكون كالتالى:  
إن سرور لا يتحمل أن يعيش الشك، من فرط شكّه، وبالتالي فإنه حين يلوح له أى شك فى أى قضية  
يسارع بحلّه بالحسم اليقيني، فهو يصدر فرمانات الوثقانية والحكم الفوقى الذى لا يقبل المراجعة،  
فالموقف الذى يقفه سرور من أغلب القضايا التى تعرض له، وجودية أو تكيفية أو علاقاتية، هو موقف  
حاسم جازم، فهو يبدو وكأنه لا يشك فى شىء، ولذلك فما أسهل عليه أن يُصدر أحكامه وهو يعمم  
ويجزم بشكل يخيل معه للسامع أنه أمام "قانون دماغ لتفسير الظواهر". نسمعه يقول:

كل خضر خلفه موسى اللئيم

كل موسى هو فرعون المشبه

كل فرعون هو الكبش العظيم

(74/33)

لكن سرورا لم يكتفِ بالانتماء  
إلى حزب المعري التاريخي  
هذا، فهو ظاهر الانتماء إلى  
الجغرافيا (الأرض)، وهو يعلن  
بوضوح مصريته وانتماءه، بل  
يُكاد يجعل مصر رمزا للأرض  
كخافة (أو للرحم أصلا)

سرور بهذا الانتماء قد انفصل  
عن "الآن"، وانتمى إلى التاريخ  
والجغرافيا بديلا عن الواقع  
الحالى

بعكس الخيام الذى حاول أن  
يستغرق فى "الآن"، والذى،  
بالرغم من توجهه من الناس  
والأصدقاء، كان يحلم طول  
الوقت بالساقى الطيب  
والنديم السمح، والوجه الصبوح

لكن "الآن" عند سرور كانت  
مصنوعة من حلمه القتالى  
المستعر أو على الأقل مغلفة  
به، أكثر منها معيشةً بنبضها  
الحى الحالى المواجه

وهو لا يهدم من فرط استعمال "كل" هذه:

كل حكم كان حكما للقروء  
كل قرد هو من جنس اليهود  
(73/32)

\*\*\*\*\*

.....

وسوف نعرض الأسبوع القادم (ملاحق الفصل الأول) (رثاء وعديد)

- [1] المقتطف من كتاب "رباعيات ورباعيات" (الطبعة الأولى 1979، والطبعة الثانية 2017) والكتاب متاح في مكتبة الأنجلو المصرية وفي منفذ مستشفى دار المقطم للصحة النفسية شارع 10، وفي مركز الرخاوي: 24 شارع 18 من شارع 9 مدينة المقطم، كما يوجد أيضا بموقع المؤلف [www.rakhawy.net](http://www.rakhawy.net) وهذا هو الرابط.

إن سرور لا يتحمل أن يعيش  
الشك، من فرط شكّه، وبالتالي  
فإنه حين يلوح له أي شك في  
أي قضية يسارع بحلّه بالحسم  
اليقيني، فهو يصدر فرمائذ  
الوثقانية والحكم الفوقية  
الذي لا يقبل المراجعة

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD290220.pdf>

\*\*\* \*\* \*

## مؤسسة العلوم النفسية العربية

معا... نذهب أبعد

### اشتراكات العضوية بمؤسسة العلوم النفسية العربية للعام 2020

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_category=36&controller=category&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=36&controller=category&id_lang=3)

#### اشتراكات عضوية مدفوعة لدعم المؤسسة

#### اشتراكات العضوية بالدفع الإلكتروني

#### 1 - عضوية "الشريك الفخري الماسي المميز"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=275&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=275&controller=product&id_lang=3)

#### 2 - عضوية "الشريك الفخري الماسي"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=116&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=116&controller=product&id_lang=3)

#### 3 - عضوية "الشريك الشرفي الذهبي"

[http://www.arabpsyfound.com/index.php?id\\_product=117&controller=product&id\\_lang=3](http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=117&controller=product&id_lang=3)

#### - اشتراكات العضوية بالتحويل البنكي ( بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3 )

مرفق رابط مستند الصوية البنكية للمؤسسة

[www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf](http://www.arabpsynet.com/APF-IBAN.pdf)

#### - اشتراكات العضوية بالتحويل عن طريق الويسترن يونيون ( بعد اختيار نوعية العضوية 1 - 2 - 3 )

Dr. Jamel TURKY ( Sfax - TUNISIA )

ARABPSYFOUND President



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية

معا... نذهب أبعد